جامعة تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم علم الآثار السنة الجامعة: 2020 – 2021

المستوى: ماستر2 السداسي: الثاني التخصص: الآثار الإسلامية

عنوان المقياس: مصادر الجزائر في العصر الحديث

أستاذ المادة: أ.د بلحاج معروف

Email:archeomarouf@gmail.com

عنوان الدرس كتاب مذكرات خير الدين بربروس

كتاب مذكرات خير الدين بربروس

نبذة عن حياة المؤلف:

مؤلف الكتاب مجهول الاسم، عاش في القرن العاشر الهجري والسادس عشر الميلادي، أما الكتاب فقد كُتب باللغة العثمانية في الأصل ثمتُرجم إلى العربية، كما يذكر المحقق في مطلع الكتاب بأن المذكرة لم يكتبها خير الدين بنفسه بل استعان بكاتب سيد علي مرادي، وأنجزت المذكرات بطلب من السلطان سليمان خان بن سليم خان ,أي أن المذكرات وإن كانت شخصية، إلاأنّ ها تحمل طابعا سياسيا رسميا.

خير الدين عبد الرحمن كان الأصغر في أربع اخوة: اسحاق وعروج وإلياس ومحمد. والده هو يعقوب أغا وهو إنكشاري ألباني. عمل الأخوة الأربعة كبحارة ومقاتلين في البحر المتوسط ضد قرصنة فرسان القديس يوحنا المتمركزين في جزيرة رودس. قتل إلياس في معركة واسر عروج في رودس الذي ما لبث أن فر إلى إيطاليا ومنها إلى مصر. استطاع عروج أن يحصل على مقابلة مع السلطان قنصوه الغوري الذي كان بصدد اعداد اسطول لإرساله إلى الهند لقتال البرتغاليين. أعطى الغوري عروج سفينة (مركزها الإسكندرية) بجندها وعتادها لتحرير جزر المتوسط من القراصنة الأوربيين.

حوالي 1505م استطاع عروج الاستيلاء على 3 مراكب واتخذ من جزيرة جربة (تونس) مركزا له ونقل عملياته إلى غرب المتوسط.

انتشرت شهرة عروج في الآفاق، ولا سيما عندما استطاع بين العامين 1504م و 1510م انقاذ الآلاف من مسلمي الأندلس، ونقلهم إلى شمال أفريقيا. في عام 1516م، كما استطاع تحرير الجزائر ثم تلمسان، مما دفع أبو حمو موسى الثالث إلى الفرار. وتآمر أبو زيان ضده فقتله وأعلن نفسه حاكما على الجزائر، استشهد عروج (وعمره 55 عاما) في معركة ضد الإسبان الذين كانوا يحاولون إعادة احتلال تلمسان وخلفه أخوه الأصغر خير الدين (خضر)، واستطاع خير الدين صد الجيش الإسباني الذي حاول احتلال الجزائر في 1529م. في عام 1531م استولى على تونس مجبرا الملك الحسن بن محمد الحفصي على الفرار.

في عام 1538م سحق خير الدين أسطول شارل الخامس في معركة بريفيزا (بريفيزا) التي أمنت سيطرة العثمانيين على شرق المتوسط لمدة ال 33 عاما المقبلين.

عندما أعلنت إسبانيا في عام 1544م الحرب على فرنسا طلب فرانسوا الأول ملك فرنسا المساعدة من السلطان سليمان العثماني. أرسل السلطان سليمان خير الدين على رأس أسطول كبير وتمركز في

مارسيليا التي تنازل عنها الفرنسيون للعثمانيين لمدة خمسة أعوام. نجح خير الدين في دحر الإسبان من نابولي والساحل الفرنسي.

وعلى منوال أخيه عروج قام خير الدين بإنقاذ 70.000 مسلم أندلسي مستخدما أسطول من 36 سفينة في سبع رحلات ووطنهم في مدينة الجزائر مما حصنها ضد الهجمات الإسبانية.

التعريف بالكتاب:

إنّ كتاب غزوات خير الدين بربروس، تم تحقيقه من قبل نور الدين عبد القادر، وطبع في المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية للنشر، الجزائر، 1934، ويعد مصدرا لا غنى للباحث عنه في تاريخ الجزائر الحديث، لا سيما في الفترة الأولى من الدخول العثماني، لغزارة معلوماته ومادته الدسمة، وهنا نشير إلى أنّ أصل مؤلف هذا الكتاب، عاش في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي.

أما الكتاب فقد كُتب باللغة العثمانية في الأصل ثمّ تُرجم إلى اللغة العربية، كما يذكر المحقق في مطلع هذا الكتاب، ويضيف أن النسخة الخطية باللغة التركية محفوظة بخزانة السراي القديمة بالأستانة منسوبة لسنان شاوش، ويعتقد أنها هي الأصل لهذا المصدر، أما النسخة التي اعتمد عليها المحقق فهي باللغة العربية محفوظة بالخزانة الدولية بالجزائر تحت عدد (1622م).

تم إصدار مذكرات خير الدين بربروس مرة ثانية باللغة العربية، ترجمها من اللغة العثمانية الدكتور محمد دراج أستاذ التاريخ الحديث بجامعة الجزائر في كتاب صدرت طبعته الأولى سنة 2010م عن شركة الأصالة للنشر والتوزيع، والكتاب حسب المترجم تم إملاؤه باللغة العثمانية في عصر السلطان سليمان القانوني و بأمر منه، وتوجد نسخة مخطوطة منه بمكتبة جامعة إسطنبول، ومكتبة طوب قابي سراي بإسطنبول، وقد ترجم الكتاب أيضا إلى لغات عدة، الفرنسية، والإيطالية، والانجليزية، والإسبانية.

محتوى الكتاب:

ويتطرق هذا الكتاب لأسباب دخول الأتراك العثمانيين الى الجزائر، والحروب التي خاضوها لرد هجمات النصارى عن بلاد المسلمين، ومجمل الأحداث التي شهدتها المنطقة خلال القرن السادس عشر الميلادي، حيث يشير في البداية إلى خبر قدوم الإخوة عروج وخير الدين بربروس إلى الحوض الغربي للمتوسط، ونشاطاتهما في المنطقة قبل إلحاق الجزائر رسميا بالإيالة العثمانية، و يذكر كيف اتصلا بالسلطان الحفصي في تونس، وحررا جيجل من الاستعمار الجنوي سنة 1513، وحاولا تحرير بجاية عدة مرات منذ 1512 إلى عام 1515م، أين كانت سواحل شمال إفريقيا تتعرض باستمرار

لهجمات النصارى بذريعة إيواء المغاربة للأندلسيين المغضوب عليهم، ليتدخل الأخوة بربروس لنصرة وإنقاذ سكان الأندلس حماية منطقة المغرب الاسلامي، مما دفع بالسكان للتمسك بهما، وطلبوا من السلطان العثماني إلحاق الجزائر رسميا بالإيالة العثمانية، فتوحدت الجهود لصد العدوان المشترك.

ويستمر المؤلف في سرد الأحداث بأسلوبه البسيط الذي يعرض به أدق التفاصيل حتى كأنك ترى الأحداث ولا تطالعها، ومن ذلك وصفه لحصار سلطان تلمسان للجزائر، وحال الأسرى بالجزائر، وخبر تولية خير الدين على الجزائر بعد مقتل أخيه عروج سنة 1518م، وكيف أن الأمور لم تستتب له بسهولة، وما لقيه من معارضة والمصادمة مع شيوخ القبائل الذين خافوا على سلطانهم من الزوال بمجيء العثمانيين.

ويتحدث هذا المصدر عن خبر محاولات خير الدين لدخول تونس، وتحالف السلطان الحفصي التونسي مع الإسبان ضده ويتعرض ايضا لأحداث الحملة الإسبانية على الجزائر سنة 1541م، وكيف تصدى لها حسن بن خير الدين وغيرها من أخبار الغزوات والحروب والسجالات في هذه المرحلة، الكتاب بحق مصدر مهم لدراسة تاريخ الجزائر، إذ يصور حلقة من حلقات صراعها مع الغرب المسيحي، وفصول إلحاقها بالدولة العثمانية، ودورها في حوض المتوسط.

فتحقيق الوثيقة المصدرية من طرف المؤرخ والباحث يزيل العديد من التساؤلات المطروحة سابقا ويبعد الغموض عنها وعن حقيقة وجودها من عدمه، والأمر الأكثر أهمية هو قيمة هذه الوثيقة المصدرية في تحديد الحوادث التاريخية الماضية، وحتى يتحقق ذلك يطلب من المحقق أو الباحث تصحيح الوثيقة والأخطاء التي قد ترد فيها، وفحصها للتعرف على نوعية الورق في حالة امتلاكه للنسخة الأصلية منها، ونوعية الورق تساعد الباحث في تحديد زمان ومكان الوثيقة، مع تحديد نوعية الخط والأختام المستعملة في الوثيقة والتوقيعات كذلك وتحليل اللغة والأسلوب ومعاني الكلمات التي تعكس روح العصر، دون أن نهمل دلالة الألفاظ الغوية والجغرافية والتاريخية والدينية لأنها توضح الصلة الموجود بين الوثيقة والمصدر وصاحبها وبالتالي تأكد أو تنفي صحتها.

ومن خلال ما سبق لي ذكره يتضح لنا جليا بأن عملية النقد الظاهري والخارجي لا تهتم بنقد الوثيقة والمصدر فقط، بل على نقد ظاهر الوثيقة للتأكد من صحت نسبها لصاحبها لهذا فان اهمال الباحث للتاريخ أو المحقق لهذه المرحلة الأساسية قد تدفعه للإعتماد على أصول تاريخية مزوة، تؤدي به لا محالة الى الوصول الى نتائج واستنتاجات خاطئة لا تمت الى الحقيقة التاريخية بأي صلة.

نقد محتوى الكتاب:

وهو الذي يهدف الى الوصول الى ما يمكن قبوله من الحقائق والمعلومات التاريخية الواردة في المصادر والوثائق التاريخية المختلفة، ونركز في هذه المرحلة على صلة مؤلف الوثيقة التاريخية بالأحداث وموقفه منها، من خلال التعرف على أحواله النفسية ودوافع كتابته لهذه الوقائع التاريخية والأحداث ومدى قناعته بما كتب أو سجل تحت تأثير عوامل محددة أو ظرف طارئ، الأمر الذي يجعل النقد الباطني عملية صعبة ومعقدة قد لا تتمكن من ممارستها بإتقان إلا النخبة من الباحثين الذين يمتلكون قدرة نفسية وعقلية على تقصي الحقائق والأحداث التاريخية الماضية.

كما يركز النقد الباطني على مدى أمانة المؤلف ودقة معلوماته ونظرته للأحداث التاريخية المختلفة، وهو ينقسم بدوره الى قسمين هما: النقد الباطني الإيجابي والنقد الباطني السلبي.

إيجابيات:

وهو يعتمد على تحليل مضمون الوثيقة التاريخية لفهمها فهما صحيحا وإدراك ما أراد منها صاحبها، وهنا يكز الباحث على ثبوت أصالة النص وإدراك المدلول الحقيقي له وتفسيره ان كان غامضا أو تحديد المعاني الخفية فيه من خلال تحديد المعنى الحرفي للألفاظ والاحاطة بمدلولاتها واختلاف معانيها وتطور لغتها، مراعيا في ذلك شروط المكان والزمان ومستوى الثقافة ومعارف العصر الذي ترجع اليه.

ويتطلب النقد الباطني تحليلا شاملا من خلال العملية اللغوية والتاريخية والجغرافية لألفاظ الوثيقة، وهنا يضطر الباحث الى الرجوع والعودة الى العلوم المساعدة للتاريخ لتكون عونا له للتعرف على الأبعاد اللغوية والمكانية والزمانية للوثيقة، ان هذه الأبعاد التي لا يمكن الإحاطة بجوانبها الا بمعرفة مادة اللغة في عصرها من حيث نوعية نوعية المفردات ومواصفات الأسلوب وطريقة الكتابة، اذ يجد الباحث نفسه مرتبطا بعلم الفيلولوجيا (الخطوط) وعلم اللغة والمعجميات وعلم الأسماء والجغرافيا وعلم الكرونولوجيا، لكون هذه العلوم هي التي تعرفه على دلالات الألفاظ وضبط أسماء المدن والمواقع والأحداث والوقائع والتأكد من التاريخ الذي تعود اليه أو ترتبط به.

النقد الباطني :

وهنا نركز على الظروف التي كتب فيها النص التاريخي لضبط أقوال كاتبه واثبات صحتها ومطابقتها للأصل بهدف التعرف على الحقائق ومدى دقتها ومطابقتها للحقيقة التاريخية، ولا يأتي ذلك الا بالتثبت من صدق أقوال المؤلف وعدم وقوعه في الخطأ، كما ينصب النقد الباطني السلبي على

تحليل شخصية المؤلف أي صاحب الوثيقة مما يتوجب طرح أسئلة تتعلق بموقفه من الأحداث والوقائع ومدى نزاهته وأمانته في نقلها، من أمثلة ذلك:

-هل يطمح صاحب الوثيقة الى الحصول على كسب ومنفعة علمية أو مادية بتقديمه لمعلومات مغلوطة؟

-هل تعرض صاحب الوثيقة الى موقف أو ضغط أو ارغام دفعه لكتابة الوثيقة؟

-هل انساق صاحب الوثيقة وفق غرور فردي وتملق أو توجه جماعي قبلي عشائري بغية تمجيد وتقديس شخص ما أو حدث ما؟

-هل أدخل صاحب النص العاطفة والذاتية والخيال والشعر بأسلوب أدبي لتضليل الحقائق التاريخية وطمسها ليبتعد عن الواقع؟

ان الغرض من كل هذه الأسئلة وغيرها هو التعرف على مدى أمانة صاحب الوثيقة ودقة معلوماته، هذه الأمانة والدقة التي تتحكم فيها قوة أو ضعق قرب أو بعد المؤلف عن الحقيقة التاريخية التي كتبها، ومدى احاطته بها جزئيا أو كليا وما دامت الحقيقة لا تثبت الا بالشواهد والأدلة التاريخية فلا بد من شهود عيان عليها، ما يدفعنا كذلك لطرح التساؤلات التالية:

-ما غرض المؤلف من كتابة هذه الوثيقة التاريخية؟

-مدى تأثير ميول ومذهب الكاتب فيما كتب؟

-إلى أي مدى تأثر كتابات المؤلف بالأحداث الواردة في الوثيقة؟

-ما هي قدرات المؤلف العلمية واللغوية والعقلية قبل وأثناء كتابة الوثيقة.

-هل كان المؤلف شاهد عيان على وقوع هذه الحادثة التاريخية أم لاحظها فقط بعد وقوعها أو كان ناقلا لها من خلال الرواية الشفوية؟.

كل هذا يوجب علنا عدم الإفراط في الشك والمبالغة فيه و الاستغناء عنه اطلاقا، بل علينا أن لا نحمل الوثيقة أكثر من معناها الظاهر، ومن خلال كل هذه الخطوات يمكننا أن نتعرف على الغرض والهدف الذي من أجله كتبت هذه الوثيقة سواء كانت في سجلات ادارية أو مذكرات شخصية أو تقارير اعلامية مع العلم أن من بين أصناف هذه الوثائق هناك من وجد لإظهار الحقيقة التاريخية وهناك من وجد لإخفائها تماما، من الأخذ بعين الاعتبار أن ثقافة كل باحث وغزارة معارفة وسعة اطلاعه ستلعب دورا هاما ورئيسيا في نقد الوثيقة وتمحيصها، اضافة الى أن غزارة معلومات كاتب الوثيقة واتساع معارفه وثقافته وكثرة اطلاعه على الأحداث تزيد من درجة اطمئنان هذا الباحث للوثيق

المراجع:

مؤلف مجهول، كتاب غزوات خير الدين بربروسة، ترجمة نور الدين عبد القادر، مطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية لصاحبهما رودوس قدور بن مراد, قسنطينة، 1934.

مؤلف مجهول، مذكرات خير الدين بربروسة، ترجمة محمد دراج، ط:1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر 2010.

https://www.albawaba.com/ar
https://tarikh5.blogspot.com/2020/06/blog-post_9.html